﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ [الأحزاب: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الظِّهارُ والتَّبنّي مِنْ عادات الكُفّار الجاهليّة، التي تُخالف الفطرة الإنسانيّة

بعد أنْ أمرت الآياتُ السابقةُ رسولَ الله ﷺ بتقْوى الله تعالى واتّباع الوحي النّازلِ إليه، ونهتْه عن الاستماع لكلام الكفّار والمنافقين، والتأثّر بأراجيفهم القاصدة إلى إحداث البلبلة وإثارة القلاقل داخلَ المُجتمع المُسلم، نزل الوحيُ الكريمُ في هذه الآية لإبطال بعض العادات والمزاعم التي روَّجها الكفّار والمنافقون، لأنّها تُخالف الفطرةَ النقيّة، ولا تستسيغها العقولُ السويّة، كما لا تستسيغُ أن يكون للرجل قلبان في جوفه؛ ومنها زعمُهم أنَّ المرأةَ - بالظِّهار - تصير أُمًّا لزوجها، وزعمُهم أنّ أبناءَ الرجل بالتّبنّي يكونون كأبنائِه مِنْ صُلبه في كلِّ شيءٍ.

الشروع في إلقاء الوحي الذي أُمِر النبيُّ باتِّباعه

والآيةُ شروعٌ في إلقاءِ الوحي الذي أُمِر النبيُّ ﷺ باتِّباعه، وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى تمهيدًا لِما يعقُبه منْ قولِه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ﴾، وتنبيهًا على أنَّ كون المُظاهَرِ منها أمًّا، وكونَ الدعيِّ ابنًا - أي بمنزلة الأمِّ والابنِ في الآثارِ والأحكامِ المعهودة فيما بينهم - في الاستحالةِ بمنزلة اجتماعِ قلبينِ في جوفٍ واحدٍ؛ وقيل: هو ردٌّ لِما كانتِ العربُ تزعمُ من أنَّ اللَّبيبَ الأريبَ له قلبان[1].

التوجيه إلى الإخلاص، بأن يكون الهمُّ واحدًا في أمور الدين والدنيا

ومن أوجه المناسبة أنّه "لمّا كان النازعَ إلى جهتين، والمعالِجَ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 90.

لأمرين متباينين كأنّه يتصرّف بقلبين، أكّد أمر الإخلاص في جعل الهمِّ همًّا واحدًا فيما يكون من أمور الدين والدنيا، وفي المظاهرة والتبنّي وما شابهها بضرب المثل بالقلبين"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَلْبَيْنِ﴾: (قلب) أصْلانِ صَحيحانِ: يَدُلُّ أحَدُهُما عَلَى خالِصِ شَيْءٍ وشَريفِهِ، وهو: قَلْبُ الإنْسانِ وغَيْرِهِ، سُمّيَ بذلك لِأنَّهُ أخْلَصُ شَيْءٍ فيهِ وأرْفَعُهُ[2]؛ وهو: المضغة المعروفة المعلّقة بالنياط[3]، وهو أهمّ ما في الباطن وأقواه، ويُسمح بإطلاقها على القوّة الباطنة: العقل، كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 179]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: 37]، وكلُّ ما في القرآن الكريم من كلمة (قلب) وجمعِها متعلَّق الكلام فيها هو ما أسنده القرآنُ إلى القلب من وظائفِ الفقه والتدبّر والإيمان وضدّه وما إلى ذلك[4].

2) ﴿جَوْفِهِۦ﴾: (جوف) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ، وهيَ جَوْفُ الشَّيْءِ؛ يُقالُ هَذا جَوْفُ الإنْسانِ، وجَوْفُ كُلِّ شَيْءٍ، وطَعْنَةٌ جائِفَةٌ، إذا وصَلَتْ إلَى الجَوْفِ[5]، والمعنى المحوريّ: فراغٌ واسع في قلب الشيء وباطنه، كجوف الإنسان وغيره، فهو غير مُصْمَت، وما فيه رِخْوٌ كلُّه؛ قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[6].

3) ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾: (ظهر) أصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ وبُروزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يَظْهَرُ ظُهورًا فَهوَ ظاهِرٌ، إذا انْكَشَفَ وبَرَزَ؛ والأصْلُ فيهِ كُلِّهِ ظَهْرُ الإنْسانِ، وهوَ خِلافُ بَطْنِهِ، وهوَ يَجْمَعُ البُروزَ والقوَّةَ، والظِّهارُ: قَوْلُ الرَّجُلِ لِامْرَأتِهِ: أنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمّي[7]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [المجادلة: 3].

4) ﴿أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: (دعو) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ أنْ تُميلَ الشَّيْءَ إلَيْكَ بِصَوْتٍ وكَلامٍ يَكونُ مِنْكَ؛ تَقولُ: دَعَوْتُ أدْعو دُعاءً[8]، ومنه ادّعاء النّسب، وهو ضمُّ المُدّعي نفسَه بالنسب

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 283.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قلب).
(3) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة: (قلب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (قلب).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جوف).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (جوف).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظهر)، والجوهري، الصحاح: (ظهر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).

إلى أبٍ أو قوم؛ والواحد دَعيٌّ، والجمع أدعياء، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾، وهم المُتَبنَّوْن[1]، الذين لا يتَّصلون بمن تبنّاهم اتصالاً مباشِرًا بولادةٍ أو زواجٍ أو ملكِ يمين أو غير ذلك.

5) ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: (سبل) أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى إرْسالِ شَيْءٍ مِنْ عُلوٍّ إلَى سُفْلٍ، وعَلَى امْتِدادِ شَيْءٍ[2]؛ والسَّبيلُ: الطّريق الذي فيه سهولة، وجمعه سُبُلٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا﴾ [النحل: 15]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الزخرف: 10]، وقال: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: 37]؛ والمقصود به: طريق الحق[3].

المَعْنى الإجْماليُّ:

قولُ القرآن في التَبنّي والظّهار هو الحقُّ الواجبُ اتّباعُه

نزلت هذه الآية بعددٍ من التشريعات الواجبِ اتّباعُها والتخلّي عمّا يناقضُها من العادات والأعراف الّتي أرساها الكفّارُ والمنافقون: ادّعاءُ بعض الناس أنَ له قلبين في جوفه، ومسألةُ التّبَنّي، وعادةُ تحريم المرأة بالظّهار وعَدِّها أُمًّا لزوجها، والمعنى: "أنَّ اللّه سبحانه كما لم يَرَ في حكمته أنْ يجعل للإنسان قلبين، لأنّه لا يخلو: إمّا أن يفعل بأحدهما مثلَ ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب، فأحدُهُما فضلةٌ غيرُ محتاجٍ إليها، وإمّا أنْ يَفعل بهذا غيرَ ما يفعل بذاك، فذلك يؤدّى إلى اتّصاف الجملة بكونه مريدًا كارهًا، عالمًا ظانًّا، موقِنًا شاكًّا في حالة واحدة؛ لم ير أيضًا أن تكون المرأةُ الواحدة أمًّا لرجل زوجًا له، وهما حالتان متنافيتان؛ وأن يكون الرجل الواحد دعيًّا لرجل وابنًا له، لأنّ البُنُوّة أصالةٌ في النسب وعراقةٌ فيه، والدعوةَ إلصاقٌ عارضٌ بالتسمية لا غير، ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلًا غيرَ أصيل"[4].

(1) الجوهري، الصحاح: (دعا)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (دعو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (سبل).
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 520.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلّة فصل الآية عن سابقتها:

بـيـانُ الـوحـي الـذي أُمِـرَ النَّبيُّ باتِّباعه

جملةُ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ قد تكون مستأنَفةً استئنافًا ابتدائيًّا، بغرَض "التَّنْبيه إلَى بُطْلانِ أُمورٍ كانَ أهْلُ الجاهِليَّةِ قَدْ زَعَموها وادَّعَوْها؛ وابْتُدِئَ مِنْ ذَلِكَ بِما دَليلُ بُطْلانِهِ الحِسُّ والاخْتِبارُ، ليُعْلَمَ مِنْ ذَلِكَ أن الَّذين اخْتلقوا مَزاعِمَ يَشْهَدُ الحِسُّ بِكَذِبِها يَهونُ عليهم اخْتِلاقُ مَزاعِمَ فيها شُبَهٌ وتَلْبيسٌ لِلْباطِلِ في صورَةِ الحَقِّ، فَيُتَلَقَّى ذَلِكَ بِالإذْعانِ والامْتِثالِ"[1].

ويمكن أنْ تكون الجملةُ مفصولةً عمّا قبلها لِما بين الآيات مِن اتّصالٍ قويٍّ، وترابطٍ شديد، يُغنيها عن الواصل اللفظيّ، فيما يُسمَّى كمالَ الاتّصال؛ لأنّ الآيةَ تُعدّ بيانًا لِما نُهي عنه النبيُّ ﷺ من طاعة المشركين ومن يروّج أفكارهم من المنافقين، في ادّعاءاتهم وأحكامهم الباطلة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾؛ وبيانًا للوحي الذي أُمر النبيّ باتّباعه والأخذ به: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾؛ فالآيةُ تُنْزَلُ ممّا قبلها منزلةَ التّابع من المتبوع.

معنى ﴿مَّا﴾:

اعتقاداتٌ منفيّةٌ انتفاءً لا يقبلُ الجِدالَ أو المِراءَ

عُبِّر بـ﴿مَّا﴾ في قول الله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ للدّلالة على النفي والعموم، إذ من خصائص (ما) نفيُ الجُمَل الاسميّة والفعليّة، وهي آكد في النفي من (ليس)؛ وهي أوسعُ استعمالًا منها أيضًا، لأنّ (ليس) مختصّةٌ بنفي الجمل الاسميّة فحسب[2]، والنفي بـ﴿مَّا﴾ هنا أنسبُ لإفادتها الانتفاءَ الذي لا يَقبل الجِدالَ أو المِراءَ، لكون تلك المعتقَداتِ ممّا يخالفُ الأمورَ البدهيّةَ المسلَّمَةَ التي لا يختلف على الإقرار بها اثنان؛ إذ لا خلافَ في استحالة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 254.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.

أنْ يكون لرجلٍ قلبان في جوفه، لأنّه لو كان له قلبان لكان شخصين متناقضين في آنٍ واحدٍ، أحدُهما يحبُّ، والآخرُ يكره، ويُقاسُ على ذلك في الاستحالة كونُ الأزواج أمهاتٍ، وكونُ الأدْعياء أبناءً.

نكتة التّعبير بالفعل ﴿جَعَلَ﴾:

عاداتُ الكافرين تُخالفُ الفطرةَ الإنسانيّة

التعبير في قول الله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ﴾ بالفعل ﴿جَعَلَ﴾ الدالِّ على التحويل والتصيير[1]، منفيًّا بـ﴿مَّا﴾ في كل مرّةٍ ورد فيها: يدُلُّ على أنّ الكُفّار صيَّروا هذه العادات إلى خلاف ما هي عليه عند الله، وجعلوها مُخالِفَةً للفطرة التي فَطَرَ النّاسَ عليها؛ فالله ﷻ لم يَخْلُق للإنسان سوى قلبٍ واحدٍ، ولم يَخْلُقِ الأزواجَ أمّهاتٍ، ولم يخلقِ الأدعياءَ أبناءً، وليس ذلك إلّا مِنْ أقوال الكافرين وصنيعهم.

غرَض إسناد فعل الجعل إلى اسم الجلالة:

الجَعْلَ المَنْفيّ هوَ الجَعْلُ الجِبِلّيُّ الذي هو مِنْ صُنع الله وخَلْقِه

إسناد الفعل ﴿جَعَلَ﴾ إلى اسم الجلالة العَلَم ﴿ٱللَّهُ﴾ في قول الله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾ يدلُّ على أنَّ الجَعْلَ المَنْفيَّ هُنا هوَ الجَعْلُ الجِبِلّيُّ، الذي هو من صُنع الله تعالى وخَلْقِه؛ والمعنى: ما خَلَقَ الله لرجل قلبين في جَوْفِه، وقَدْ جَعَلَ إبْطالَ هَذا الزَّعْم تَمْهيدًا لإبْطالِ ما تَواضَعوا عليه مِنْ جَعْلِ أحَدٍ ابْنًا لِمَنْ لَيْسَ هوَ بِابْنِه، ومِنْ جَعْلِ امْرَأةٍ أُمًّا لِمَنْ هيَ لَيْسَتْ أُمَّهُ بِطَريقَةِ قياسِ التَّمْثيل؛ أيْ أنَّ هَؤُلاءِ الَّذينَ يَخْتَلِقونَ ما لَيْسَ في الخِلْقَةِ لا يَتَوَرَّعونَ عَنِ اخْتِلاقِ ما هوَ مِنْ ذَلِكَ القَبيلِ مِنَ الأُبوَّةِ والأُمومَةِ، وتَفْريعِهِمْ كُلَّ اخْتِلاقِهِمْ جَميعَ آثارِ الاخْتِلاقِ، فَإنَّ البُنوَّةَ والأُمومَةَ صِفَتانِ مِنْ أحْوالِ الخِلْقَةِ ولَيْسَتا مِمّا يَتَواضَعُ النّاسُ عليه بالتَّعاقُدِ مِثْلَ الوَلاءِ والحِلْفِ[2].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (جعل).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 255، بتصرف

معنى لامِ ﴿لِرَجُلٍ﴾:

واللام الدّاخِلةُ على (رَجُلٍ) في قول الله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾: حرفُ جرٍّ يفيد التخصيصَ وتقويَة انتفاء الجَعْل لأيِّ رجل.

دلالة التّعبير بوصف الرّجولة دون غيره:

معنى الحياة في الرجل أقوى وأوضحُ منه في غيره

آثر النظمُ الكريمُ التعبيرَ باسم الرَّجُل دون الإنسان أو غيره في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ "لأنَّ معنى الحياة في الرَّجل أقوى وأوضحُ منه في غيره، فإذا كان الرّجل الذي هو مظهر الحياة في أقوى صوَرِها لم يَخْلُقِ اللّهُ له قلبين، فغيرُه ممّا خَلق الله أولى بأن يكون له قلبٌ واحدٌ"[1]؛ فالتعبير بالرّجل لأنّه أقوى جِسمًا وعقلًا، فيُفهَم غيرُه من باب الأولى[2]، فـ"خصوصُ الرّجل ليس بمقصود، وتخصيصُه بالذكَر لكمال لزوم الحياة فيه، فإذا لم يكن ذلك له فكيف بغيره من الإناث؟ وأمّا الصّبيانُ فمآلُهم إلى الرجوليّة"[3].

نكتة تنكيرِ ﴿لِرَجُلٍ﴾:

اتّساع النّفي وعمومُه كلَّ الرجال

أوثر التعبير بلفظِ ﴿لِرَجُلٍ﴾ نكرةً في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ لما يُفيده التنكير الواقع في سياق النفي من العموم والشمول، وهو ما يجعل التعبير شاملًا كلَّ الرجال؛ والمعنى: "(ما جَعَلَ اللّه لِأيِّ رَجُلٍ مِنَ النّاسِ قَلْبَيْنِ، لا لِجَميلِ بْنِ مَعْمَرٍ ولا لِابْنِ خَطَلٍ"[4]، ولا لغيرهما)، كما يدّعي بعضُ الكافرين والمنافقين.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿لِرَجُلٍ﴾:

تأكيد نفي اختصاص الرّجال بوجود قلبين في جوف أحدهم

قَدَّم النظمُ الكريمُ الجارَّ والمجرورَ ﴿لِرَجُلٍ﴾ على المفعول ﴿قَلۡبَيۡنِ﴾ في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾

(1) أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 62.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 283.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 143.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 255.

لأنّ الاهتمام موجَّهٌ إلى نفي اختصاص الرِّجال بوجود قلبين في جوف أحدهم، لأنّ نفي ذلك عنهم يؤدّي إلى انتفائه عن غيرهم من باب الأولى.

معنى ﴿مِّن﴾ في قوله: ﴿مِّن قَلْبَيْنِ﴾:

عَبَّر النظمُ الكريمُ بحرف الجرّ ﴿مِّن﴾ في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾، مع إمكان التعبير بدونه، لزيادة التوكيد وتقوية نفي أنْ يكون لأيّ رجلٍ قلبان في جوفه؛ ومِن ثَمَّ فإنّ التنكير في ﴿لِرَجُلٍ﴾، وإدخالَ ﴿مِّن﴾ الاستغراقيّة على ﴿قَلْبَيْنِ﴾: تأكيدانِ لما قُصِد من المعنى، كأنَّه قيل: (ما جعل الله لأُمّةِ الرجال، ولا لواحد منهم قلبين البتّةَ في جوفه)[1].

دلالة تثنية القلب:

استحالة وجود قلبين يدلُّ على استحالة وجودِ أكثرَ منهما

عبَّر النظمُ في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ عن المفعول بـ﴿قَلْبَيْنِ﴾، مُؤْثِرًا التثنيةَ، لأنّه أقلُّ عددٍ يَلي الواحدَ؛ وانتفاءُ وجود قلبين في جوف الرِّجال بصفةٍ خاصّة، وفي قلوب الناس بصفة عامّة: يدلّ على انتفاء وجود ما هو أكثر منهما، لأنّ استحالةَ وجودهما يدلُّ على استحالة وجود ما هو أكثر منهما من باب الأولى.

ففي الآية إثباتُ وجود قلبٍ واحدٍ فقط بالطريقة العقليّة المنطقيّة، فقد "ذُكِرَ في بيان عدم جعله تعالى قلبين في جوف، بناءً على ما هو الظاهر من أنّ المراد بالقلب المضغة الصنوبرية: أنّ النفس الناطقة – وكذا الحيوانيّة – لا بدّ لها من متعلّق، ومتعلّقها هو الروح، وهو جسمٌ لطيف بخاريٌّ يتكوّن من ألطفِ أجزاء الأغذية، لأنّ شدّ الأعصاب يُبطل قوى الحسّ والحركة عمّا وراء موضع الشدّ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 516.

ممّا لا يلي جهة الدماغ، والشدّ لا يمنع إلّا نفوذ الأجسام، والتجاربُ الطبيّةُ أيضًا شاهدةٌ بذلك؛ وحيث إنّ النفس واحدةٌ فلا بدّ من عضوٍ واحدٍ يكون تعلُّقها به أوّلًا، ثم بسائر الأعضاء بواسطته"[1].

نكتة تنكير ﴿قَلۡبَيۡنِ﴾:

مِـنَ المُستحيل وجـودُ قلبين في جوف الإنسان، مهما كان حجم القلب صغيرًا

أوثر تنكيرُ ﴿قَلۡبَيۡنِ﴾ في قوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ لما يُفيده التنكيرُ من العموم والتصغير، فعلى الرغم من صِغَر حجم القلب، إلّا أنّ اللّهَ تعالى لم يَخْلُق في جوفِ أحدٍ من الخلق اثنين منه؛ لأنّ العبرة ليست بالصِّغَر، إنّما هي بالأثر المُترتِّب على وجود اثنين من عضوٍ بهذا التأثير في جوف الإنسان؛ لأنّ من البدهيِّ أنْ يحصُل، بناءً على ذلك، تضارُبٌ في المشاعر والرّغَبات، فيكون الرجل مُحِبًّا كارهًا في آنٍ واحد، ويكون كذلك سعيدًا حزينًا، ومقبلًا مدبرًا، وقابلًا رافضًا، وهذا ممّا يستحيل واقعًا ومنطقًا.

فائدة الظّرفيّة ﴿فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾:

تَـصَـوُّرُ المعنى الـخـطـأ، واستحضارُه في الـذهـن: يُـؤدّي إلى سُرعة إنكاره

فائِدَةُ ذِكْرِ الظَّرْفِ في قول اللّه تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ - مع أنّ القلبَ لا يكون إلّا في الجوف: زيادَةُ تَصْوِيرِ المَدْلولِ عليه بِالقَلْبِ، وتَجَلّيهِ لِلسّامِعِ؛ فَإذا سَمِعَ ذَلِكَ كانَ أسْرَعَ إلَى الاقْتِناعِ بِإنْكارِ احْتِواءِ الجَوْفِ عَلَى قَلْبَيْنِ، وذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: 46] ونَحْوُهُ مِنَ القُيودِ المَعْلومَةِ، وإنَّما يَكونُ التَّصْريحُ بِها تَذْكيرًا بِما هوَ مَعْلومٌ، وتَجْديدًا لِتَصَوُّرِهِ[2]؛ ففي ذكر الجوف فائدةُ زيادة التصوير للمعنى المقصود، بحيث إذا سمعه المخاطَب صَوّر لنفسه جوفًا يشتمل على قلبين، فكان ذلك أسرع إلى إنكاره، فضلا عمّا فيه من تعظيم لما قالوه من الجمع بين الزوجة والأمومة، وبين العبوديّة والبنوّة، وإنكارٍ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 143.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 256، والزمخشري، الكشاف: 3/ 516.

له، ولمّا كان الكلامُ في حال الإنكار والتعظيم أتى بذكر الجوف بأسلوب الإطناب، إذ من المعلوم أنّ القلبَ لا يكون إلّا فيه.

فائدة الجملة الخبريّة:

التعبير بالخبر يدلّ على تنزيل المعنى منزلةَ المُسَلَّمات

أوثر التعبير عن المعنى بالجملة الخبريّة ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾، لينزل مضمونُها لدى المتلقّي منزلةَ الأمور البدهيّة المسلَّمة، التي لا تقبل الجدال أو التردُّد أو الشكّ.

نكتة تتابع أساليب التّوكيد في الجملة:

تأكيدُ بطلانِ وجود قلبين في جوف الإنسان وتقريرُه

حاصلُ أساليب التوكيد المتتابعة في قول الله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾ تأكيدُ وتقرير بطلان أنْ يكون لأحدِ الأحياء قلبان، ليتأكَّد تبَعًا لذلك بُطلانُ أنْ تكون الزوجة أمًّا، والمتبَنَّى ولدًا[1].

نوع واو ﴿وَمَا﴾ ودلالتُها:

كونُ الزوجة أُمًّا بمنزلة اجتماع قلبين في جوفٍ واحدٍ في الاستحالة

جاء قولُ الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ معطوفًا على قوله ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ﴾؛ واختير العطف بالواو التي تفيد المشاركة في الحكم، للتنبيه على أنّ كونَ الزوجة المُظاهَر منها أُمًّا يماثل وجودَ قلبين في جوف الإنسان في الاستحالة وعدم القبول[2].

نكتة تكرار ﴿وَمَا جَعَلَ﴾:

الظِّهار من الجَعْل البشريّ، وليس من الجَعْل الإلهيّ

في تكرار قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ﴾ مع قُرْبِ العهد به: تأكيدٌ وتقويةٌ وإبلاغٌ في نفي كون الزوجة التي ظاهر منها زوجُها أمًّا له، ونفيٌ لتحويلها من دائرة الحِلِّ إلى دائرة الحرمة الأبديّة في شرع الله تعالى وفِطرته، وفيه كذلك تنبيهٌ إلى أنّ ذلك ليس من الجعل الإلهيّ، ولكنّه من الجعل البشريّ، يعني: من أفعال النّاس

(1) أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 63.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 90.

وافتراءاتهم؛ "فالمُرادُ بالجَعْلِ المَنْفيِّ في قَوْلِه: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: الجَعْلُ الخَلْقيُّ أيْضًا، كالَّذي في قَوْلِه ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾، أيْ: ما خَلَقَهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ، إذْ لَسْنَ كَذَلِكَ في الواقِعِ؛ وذَلِكَ كِنايَةً عَنِ انْتِفاءِ الأثَرِ الشَّرْعيِّ الَّذي هوَ مِنْ آثارِ الجَعْلِ الخلقيِّ، لِأنَّ الإسْلامَ هوَ الفِطْرَةُ الَّتي فَطَرَ اللّه النّاسَ عَلَيْها"[1].

نكتة إضافة الأزواج إلى ضمير المخاطَبين:

الزوجان مُقْترنان اقـترانَ المُضاف بالمُضاف إليه

في إضافة الأزواج إلى ضمير المخاطبين من قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ تذكيرٌ بالمزاوجة والالتصاق الحاصلِ بين الرجل وزوجه، والذي تحوّل إلى تباعد وتحريم، بسبب الظّهار الذي كان بعضُ الرجال في الجاهليّة يلجأ إليه عندما يريد فِراقَ امرأته فراقًا لا رجعةَ فيه.

سِرُّ العدول إلى الخطاب الجمعيّ:

التـنـبـيـهُ إلى كـثرة مُـظـاهـرة المـشـركـين من أزواجهم والإثارةُ إلى التراجع عن ذلك

كان مقتضى الظاهر أنْ يُعَبَّرَ بصيغة الغائب المفرد، فَيُقال: (وما جعل زوجَه التي يُظاهر منها أُمَّه) بعد قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾؛ ولكنّ البيانَ القرآنيَّ عدل إلى صيغة الخطاب الجمعيّ، فقال ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ﴾، "لأنّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوبٍ كان أحسن، تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوبٍ واحد"[2]؛ ولِما يُفيده العدولُ إلى صيغة الخطاب الجمعيّ هنا من تنبيه المخاطبين إلى كثرة وقوعهم في هذا الخطأ، وتحذيرهم مِنْ أنَّهم يفعلون ما هو على خلاف الفطرة التي فطرهم اللّه تعالى عليها، فيحصل من التعبير بصيغة الخطاب نوعٌ من الإثارة الباعثة إلى التفكّر والتدبُّر المُفضي إلى الإقرار بالخطأ والعدول عنه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 257.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/ 14.

غرضُ التّعبير بالموصول ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾:

التشنيع بمُظاهَرَة الرجال من أزواجهم

﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾ في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ اسمٌ موصول في محلّ نصبٍ صفةً للمفعولِ ﴿أَزۡوَٰجَكُمُ﴾؛ عبَّر به النظمُ الكريمُ ليُتوصّل من خلال صلته ﴿تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ﴾ إلى التشنيع بما يقومُ به الرجالُ من المُظاهرة من النساء، بغرض فراقهنّ فراقًا لا رجعةَ فيه، حسب ما كان سائدًا في الجاهليّة ومنتشرًا.

نكتة التعبير بـ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾:

الظّهارُ والطّلاق حالتان تُخالفانِ المعروفَ المعهودَ بين الأزواج

عبَّر النظمُ الكريمُ بـ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾ دون (اللّاتي) في الآية الكريمة ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾ جريًا على عادته في التعبير بهذا الاسم في سياق الطّلاق والظّهار؛ "فبما أنّ الطّلاق والظّهار حالتان نادرتان استَعمَل في سياق ذكرِهما الهمزةَ بدلًا من التّاء (اللاتي)، لأنّ الهمزة من الحروف الثّقيلة النّادرةِ الاستعمالِ، فاستعملَها لتناسُب حالتَي الظّهار والطّلاق النّادرتين؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن ﴿ٱلَّـٰٓـِٔى﴾ من اللَّأْى: وهو الحبْس، والمُطلِّق والمُظاهِر تُحبس عنه امرأته حتّى يقوم بالكفّارة، أو ما هو مطلوب منه شرعًا"[1].

دلالة التّعبير بـ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

استحضار صورة الزوجة وهي تُحَرَّمُ كالأمّ: يُساعِد في التنفير والإنكار

قول الله تعالى ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ في الآية الكريمة ﴿وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ﴾: فعلٌ مضارِعٌ من (ظاهَرَ)، ومعناه: قول الرجل لامرأته: أنْتِ عليّ كظهر أُمّي، مُعَبِّرًا عن البطن بالظهر على سبيل المجاز المرسَل لعلاقة المجاورة، ومُؤْثِرًا التعبيرَ بالظهر استقباحًا لذكر البطن، لا سيما بطن الأمّ، لقربها من الفرج. "وهَذِهِ

(1) الهلال، محمد، تفسير القرآن الثري الجامع: 28/ 2.

صيغَتُهُ المَعروفَةُ عِنْدَهُمْ، وهيَ موجِبَةٌ طَلاقَ المَرْأةِ وحُرْمَةَ تَزَوُّجِها مِنْ بَعْدُ؛ لِأنَّها صارَتْ أُمًّا لَهُ"[1].

وإيثارُ هذه الصيغة التي يتوسّطُها ألِفُ المدِّ يتناسب مع اعتقاد الكافرين بتحريم المرأة التي يُقال لها ذلك تحريمًا أبديًّا كحُرمة الأمِّ تمامًا بتمام، وأوثر التعبير بالمضارع الذي يفيد التجدُّدَ لدلالته على تجدُّد حصول ذلك من الرّجال واحدًا بعد واحدٍ، بجانب ما يُفيده من استحضار الصّورة الماضية كأنَّها حاضرةٌ ماثلةٌ، تبدو فيها الزوجةُ الحلالُ تُعامَل مُعاملةَ الأمِّ في الآثار والأحكام، ما من شأنه أنْ يُساعِد في التنفير والإنكار.

القراءات المتواترة في ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾:

الظّهارُ فيه تطاولٌ وإصرارٌ على جَعْل الأزواج أُمَّهاتٍ

قُرِئَ الفعلُ ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ من قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بأكثرَ من قراءة؛ حيث قرأ عاصم بضَمِّ التّاءِ وتَخْفيفِ الظّاءِ وألِفٍ بَعْدَها وكَسْرِ الهاءِ مَعَ تَخْفيفِها ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾؛ وكذلك قرأ حمزة والكسائي وخلف، إلّا أنَّهُمْ فتحوا التّاءِ والهاءِ ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾؛ وقَرَأ ابْنُ عامرٍ كَذَلِكَ إلّا أنَّهُ بتَشْديدِ الظّاءِ ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾؛ وقَرَأ الباقونَ كَذَلِكَ، إلّا أنَّهُمْ بتَشْديدِ الهاءِ مَفْتوحَةً مِنْ غَيْرِ ألِفٍ قَبلَها ﴿تَظَّٰهَرُونَ﴾ [2]، فقراءة عاصم بضم التاء وكسر الهاءِ بعد ألفٍ، مضارع (ظاهَرَ)، وقراءة ابن عامرٍ بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء مضارع (تَظاهَر)، والأصل (تتظاهرون) بتاءَيْن فأدغم، وحمزة والكسائي وخلف كذلك، إلّا أنهم خَفَّفوا الظاءَ، والأصل أيضًا بتاءَيْن، إلّا أنهم حَذَفوا إحداهما، وقراءة الباقين بفتح التاءِ والهاءِ وتشديدِ الظاء والهاء دونَ ألفٍ، والأصل: (تَتَظَهَّرون) بتاءَيْن فأدغَم نحو: (تَذَّكَّرون) [3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 256.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 347.
(3) ابن زَنْجلة، حجة القراءات، ص: 703، والسمين الحلبي، الدر المصون: 9/ 93.

وخلاصته أنّك تَقول: (ظاهر من امْرَأته وظهَّر)، مثل: (ضاعف وضعَّف)، فَتدخل التّاء على كل واحِد مِنْهُما؛ فَيصير: (تَظاهر وتَظَّهر)، ويدْخل حرف المضارعة فَيصير: (يتظاهر ويتظَهر)، ثمَّ تُدْغَم التّاء في الظّاء لمقاربتها فَتَصير: (يظّاهر ويظَّهر) بِفَتْح الياء الَّتي هيَ حرف المضارعة لِأنَّها للمطاوعة كَما يفتحها في: (يتدحرج) الَّذي هوَ مُطاوع: (دحرجته فتدحرج)، والمفاعلة (المظاهرة) هنا ليست على بابها؛ لأنها من جهة الأزواج فقط، وأيضًا فإنّ صيغة التشديد في القراءة الأخرى فيها معنى التكرار والإصرار، وهي قراءاتٌ متقاربة، تدلّ بما فيها من مَدٍّ وإدغامٍ على تطاوُلِ المُظاهرِ وإصراره على جعل الزوجة أُمًّا.

نكتة تعدية ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بـ(مِنْ):

عُدّيَ المُضارع ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بـ(مِنْ) في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، مع أنّه يتعدّى بنفسه، لتضمُّنه معنى التباعد ونحوه، ممّا فيه معنى التَّجَنُّب وعدم الاقتراب؛ ذلك أنَّ الظِّهار كان طلاقًا وتحريمًا عند أهل الجاهليّة وصدرٍ من الإسلام.

الـظّـهـار سبب تباعُد الرّجل عن زوجه

بلاغة الاستعارة في التّعبير بالظّهار:

في التعبير عن المفارقة بالظّهار في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بلاغةُ الاستعارة، وذلك أنّه في قَوْلِهِمْ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمّي، تَخْييلٌ لِلتَّشْبيهِ المُضْمَرِ في النَّفْسِ عَلَى طَريقَةِ الِاسْتِعارَةِ المَكْنِيَّةِ، إذْ شَبَّهَ الرَّجُلُ زَوْجَهُ حينَ يَغْشاها بِالدّابَّةِ حينَ يَرْكَبُها راكبُها، ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنيّة، وذكر الظّهْر تَخْييلًا[1].

تَـخَـيُّـلُ تشبيه الزوجة بالدابّةِ المُـضْـمَـر في النفس

نوع واوِ ﴿وَمَا﴾ ودلالتها:

جاء قولُ الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ معطوفًا

كـونُ الأدعـياء أبناءً يُماثل في الاستحالةِ كونَ الأزواج أُمّهاتٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 256.

على ما قبله بالواو التي تُفيد المشاركةَ في الحكم، للدّلالة على أنّ كونَ الأدعياء أبناءً يُماثل كونَ الأزواج أمّهاتٍ، ويُماثل كذلك وجودَ قلبين في جوف الإنسان في الاستحالة وعدم القبول؛ و"هَذا هوَ المَقْصودُ الَّذي له وُطِّئَ بِالآيَتَيْنِ قَبْلَهُ، ولِذَلِكَ أُسْهِب الكَلامُ بَعْدَهُ بِتَفاصيلِ التَّشْريعِ فيهِ، وعُطِفَتْ هاتِهِ الجُمْلَةُ عَلَى اللَّتَيْنِ قَبْلَها لِاشْتِراكِ ثَلاثَتِها في أنَّها نَفَتْ مَزاعِمَ لا حَقائِقَ لَها"[1].

فائدة نفي الجعل وبيانُ مفعولَيه:

عَـدُّ الأدعـيـاء أبناءً من الجَعْل البشريّ، وليس مـن الـخَـلْـق الإلهيّ

يتعدّى الفعل ﴿جَعَلَ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ لمفعولين، أوّلِهما ﴿أَدْعِيَآءَكُمْ﴾، والآخر ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾، وفي إعادة التعبير به منفيًّا مع قُرب العهد به دلالةٌ على أنّ جعل الأدعياء أبناءً في الأحكام والآثار من عادات البشر وأعرافِهم، وليس من خلق الله تعالى وفطرته التي فطر الناسَ عليها؛ "وكانوا في الجاهِليَّةِ وصَدْرِ الإسلام إذا تبنَّى الرَّجُلُ ولَدَ غَيْرِهِ صارَ يَرِثُهُ"[2]، ويُعامَلُ معاملةَ ولدِه الحقيقيّ في كلِّ شيءٍ تمامًا بتمام.

نكتة إضافة الأدعياء إلى ضمير المخاطبين:

شـــدّة قـــرب الأدعـيـاء من المـخـاطَـبـين وقّوة ارتباطهم لا يـجـعـلـهـم أبناءهم

في إضافة الأدعياء إلى ضمير المخاطبين في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾: إلماحٌ إلى قوّة التَّقارب وشدّة الاتِّصال الذي صار بين الرجال وأدعيائهم؛ وللإشارة إلى أنَّهم أصبحوا ينزلون منهم منزلة المُضاف من المُضاف إليه.

دلالة التّعبير بلفظة الأدعياء:

الأدْعياءُ في قول الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ جَمْعُ (دَعيٍّ) بِوَزْنِ (فَعيلٍ) بِمَعْنَى مَفْعولٍ، مُشْتَقٌّ مِنْ مادَّةِ الادِّعاءِ؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 258.
(2) أبوحيان، البحر المحيط: 8/ 452.

والدَّعيُّ هو: المُتَبَنَّى الَّذي تَبَنّاه رجلٌ فَدَعاهُ ابنَه، ونسبهُ إلَى غَيْرِهِ[1]؛ "والادِّعاءُ: زَعْمُ الزّاعِمِ الشَّيْءَ حَقًّا لَهُ مِنْ مالٍ أوْ نَسَبٍ أوْ نَحْوِ ذَلِكَ بِصِدْقٍ أوْ كَذِبٍ"[2]، وفي التعبير به جمعًا دلالةٌ على شيوع هذا اللّقب وانتشارِه بين العرب وقتَ نزول السورة، فجعلُ الأدعياء أبناءً كانت عادةً معروفةً، قبلَ أن يُبطِلَها القرآنُ.

جَعْلُ الأدعياء أبناءً عادةٌ معروفةٌ سائدةٌ عند العرب إبّانَ نُزول السّورة

نكتة فصلِ ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾:

جاء قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ مفصولًا عمّا قبله لِما بين الكلامين من كمال الاتّصال، الذي تنزلُ فيه الجملةُ الثانيةُ من الأولى منزلةَ التابع من المتبوع، حيث إنّ قولَه: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ يمكن أن يكون تأكيدا معنويًّا لبُطلان ما سبقه من عادات الظِّهار والتبنّي، وأنّها لا تَعْدو أنْ تكون مِنْ كلامِ النّاس وافتراءاتهم التي لا تتوافق مع الفطرة السويّة، ولا يقبلُها العقلُ السليمُ؛ ويمكن أن يكون بيانًا لحقيقة هذه العادات، وأنّها من القوانينِ التي سنّها الناسُ وتعارفوا عليها، وألزموا أنفسَهم بها، لكنّها ليست مِنْ وحي الله تعالى، ولا مِنْ شَرعِه الحنيف.

تأكيدُ انتفاءِ كونِ الأدعياء أبناءً وكونِ الأزواجِ أُمّهاتٍ

إعرابُ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ودلالتُه:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ اسمُ إشارة في محلّ رفع مبتدأ، وُضِع في الأصل ليُشارَ به للبعيد، وقد أُشير به هنا إلى ما ذكرَتْه الآياتُ السّابقةُ من الافتراءات التي روّجَها المشركون، والعاداتِ التي اعتقدوها، مِنْ وجود قلبَينِ في جوفِ بعض الناس، ومِنْ كون المرأة المُظاهَر منها أمًّا، ومِنْ كون الأدعياءِ أبناءً للذين تَبَنَّوْهُمْ، وأوثر التعبير به لتمييز المُشار إليه، وتنزيلِه منزلةَ الشيء البعيد في الإهانة والتحقير والبُعد عن الصَّواب ومجافاة

تنزيل المشار إليه مَنزلةَ البعيد في الإهانة والبُعْدِ عن الحقيقة

(1) ابن منظور، لسان العرب: (دعا).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 258.

الفطرة والحقيقة، فـ"﴿ذَٰلِكُمْ﴾ قيل: إشارةٌ إلى ما يُفهَم من الجمل الثلاث، مِنْ أنَّه قد يكون قلبان في جوف، والظهار، والادّعاء؛ وقيل: إلى ما يُفهم من الأخيرتين؛ وقيل: إلى ما يُفهم من الأخيرة"[1].

نكتة خطاب الجمع في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾:

هذه ادّعاءاتٌ للمشركين، وافتراءاتٌ منهم، لا سلطانَ لهم بها من الله

في إضافة اسم الإشارة إلى ضمير الجمع في ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ من الآية الكريمة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ تنبيهٌ للمخاطَبين بأنَّ المشارَ إليه الموغلَ في البُعد عن الحقيقة: من عاداتكم وبنات أفكاركم، ولا حقيقةَ له وراءَ القول وتحريكِ الفم من غير مطابقةِ قلوبكم[2].

نكتة إفراد ﴿قَوْلُكُم﴾ وإضافتِه:

أحكامُ الظِّهار والتّبنّي المخالفةُ للفِطْرة: ليست مِنْ وحْي الله في شيءٍ

في إفراد القول في الآية الكريمة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ دلالةٌ على اتِّفاق المُخاطَبين عليه، واتِّحادهم جميعا في التَّلَفُّظ والأخذ به، وعدم مخالفة بعضهم فيه؛ ما يعني أنّ كلًّا من الظهار والتبنّي له صورةٌ واحدةٌ، وله مفهومٌ واحدٌ لدى الجميع، وفي إضافته إلى ضميرِ جمعِ المخاطَبين توبيخٌ لهم، وتأكيدٌ لنسبته إليهم، وتبرئةٌ للوَحْي منه؛ كأنَّه قيل: (هو قولُكُم الصادرُ من أفواهكم، الخارجُ من ألسنتِكم، وليس من وحي الله تعالى في قريبٍ ولا بعيدٍ).

معنى باءِ ﴿بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾:

تأكيدُ كونِ الظّهار والتّبنّي من أقوال الكفّار، وعدم الافتراء في نسبته إليهم

الباء في قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد الإلصاقَ، أو السببيّةَ، أو الاستعانة، وفي التعبير به تأكيدٌ لخروج هذا الكلام من أفواههم، وعدم الافتراء في نسبته إليهم؛ وإشارةٌ إلى أنّهم هم الذين قدَّسوه وألزموا أنفسهم به، مع أنَّه بعيدٌ كلَّ البعد عن كلام الله، ومخالِفٌ تمامَ المخالفة للفطرة التي فَطَر النّاسَ عليها.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 145.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 286.

بلاغة الإطناب في قوله ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾:

ما قاله الكُفّار في الظِّهار والتَّبنّي لا وجـود لـه في الحقيقة والواقع

ذكرُ قَيدِ الأفواه في قول الله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ مع أنّ القول لا يكون إلا بالأفواه: إطنابٌ يفيد معنًى جليلًا، وهو أنّ قولَهم لم يكن راسخًا عن يقين واعتقاد، وإنما هو لفظ ينطق به اللسانُ ولا يصدّقه القلب، وإن كانوا أظهروا الاقتناعَ به بترجمته الى فعل؛ لأنّ ما قالوه بشأن الظّهار والتّبنّي لا يزيد عن كونه كلامًا خرج من أفواههم، ولا أساسَ له في الحقيقة والواقع؛ فالزوجة زوجةٌ، والأمُّ أمٌّ، ولنْ تكون الزوجة أمًّا مهما كان، ولنْ يكونَ المُتبنَّى ولدًا بأيّ حال من الأحوال؛ فتقييد القول ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ – مع أنَّهُ مِنَ المَعْلوم أنَّ القَوْلَ إنَّما هوَ بِالأفْواهِ – للإشارة إلَى أنَّهُ قَوْلٌ لا تَتَجاوَزُ دَلالَتُهُ الأفْواهَ إلَى الواقِعِ ونَفْسِ الأمْرِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أنْواعِ الوُجودِ إلّا الوُجودُ في اللِّسانِ والوُجودُ في الأذْهانِ دونَ الوُجودِ في العيانِ؛ فَعُلِمَ مِنْ تَقْييدِهِ ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أنَّهُ قَوْلٌ كاذِبٌ لا يُطابِقُ الواقِعَ[1].

عـينُ الـضـلال الأخـذ بـقـول الكاذب اللاغي، وتـركُ قـول الله الحقّ

يشبه الكلامُ الذي يصدر من الفم فقط صوتَ البهائم الذي لا يصدر عن قلب، والكلام الذي بالقلب قد يكون حقًّا وقد يكون باطلًا؛ لأنّ من يقول شيئًا عن اعتقاد قد يكون مطابقًا فيكون حقًّا، وقد لا يكون فيكون باطلًا، فالقول الذي بالقلب – وهو المعتبر من الأقوال – قد يكون حقًّا وقد يكون باطلًا، لأنّه يتبع الوجود؛ وقول الله حقّ لأنّه يتبعه الوجود، فإنّه يقول عمّا كان، أو يقول فيكون، وعليه، فقول الله خيرٌ من أقوالكم التي عن قلوبكم، فكيف تكون نسبته إلى أقوالكم التي بأفواهكم؟! ومن هنا لا يجوز أن تأخذوا بقولكم الكاذب اللاغي وتتركوا قول الله الحقّ، فمن يقول بأنّ تزوج النبيّ ﷺ بزينبَ لم يكن حسنًا يكون قد ترك قول الله الحقّ وأخذ بقولٍ خرج عن الفم[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 260.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 156.

توجيهُ التّعبير بالأفواه دون اللّسان:

الكافرون والمنافقون واليهود لا يتكلّمون إلا بما يُثير الفتنَ ويقلبُ الحقائقَ

أُسند القولُ في هذه الآية الكريمة إلى الأفواه: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾، بينما أُسند إلى اللّسان في ثمانيةِ مواضعَ من القرآن، وهي في آل عمران، الآية: 78، والنساء، الآية: 46، والنحل، الآية: 62، 116، والنور، الآية: 15، والأحزاب، الآية: 19، والفتح، الآية: 11، والممتحنة، الآية: 2، تأتي كلّها في سياق حديث القرآن عن الكافرين والمنافقين وأهل الكتاب، ببيان أقوالهم الكاذبة، وافتراءاتهم المخالفة للحقيقة والواقع على كتاب الله، وعلى الرسول ﷺ وأزواجه، وعلى المؤمنين والمؤمنات، بغرض إشاعة الفتنة والتشكيك وإثارة البلبلة في مجتمع المسلمين؛ إذِ اللسان هو الوسيلة الفاعلة في ذلك، وله تأثيرٌ كبير في الترويج والانتشار.

أمّا إذا كان ما يصدر عنهم من قبيل الافتراءات والأكاذيب والتُّهم التي لا أساسَ لها من الصحة والمعتقدات الباطلة، كمعتقد الظهار والتبنّي: فإنّ التعبير بالأفواه يكون الأنسبَ، لأنّهم يحاولون إيهام المخاطبين بكون كلامهم انعكاسًا لباطنهم، وأنّهم موقنون بما يقولون وإن لم يكونوا راسخين فيه، بغرض حمل المخاطَبين على تصديقهم واتّباعهم، فقولهم هنا كان عن صورةِ قناعةٍ مترجمة إلى فعل، وإن لم تكن راسخةً متيقّنة لمخالفتها الفطرة، ومجانبتها الواقع؛ ولذلك استعمل لفظ (الأفواه)، وكأنّهم قالوه بملء الفم فقط.

معنى واوِ ﴿وَٱللَّهُ﴾:

كلامُ الله تعالى هو الحقُّ الذي لا يأتيه الباطلُ دائمًا أبدًا

الواو في أوّل قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ قد تكون للحال، والجملة بعدها حالية تدلُّ على أنّ كلامَ الله هو الحقّ الذي لا يأتيه الباطلُ دائمًا وأبدًا؛ وقد تكون استئنافيّة، والجملة بعدها مستأنفة للتنبيه إلى أنّ ما قالوه في الظهار والتّبنّي يخالف كلامَ الله وشرعتَه التي لا تخرج عن كونِها الحقَّ الهادي إلى سواء السبيل.

نكتة تقديم المسند إليه ﴿وَٱللَّهُ﴾:

في قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ قُدِّم المسند إليه ﴿وَٱللَّهُ﴾ على الخبر الفعلي ﴿يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ لإفادة قصر قول الحقّ على الله ﷻ دون الكافرين والمنافقين، قصرًا إضافيًّا غرَضُه القَلْبُ، أي: (والله يَقولُ الحَقَّ، لا الَّذينَ وضَعوا لَكُمْ تِلْكَ المَزاعِمَ)[1]، وفي القصر تأكيد بطلان كلامهم عن الظهار والتّبنّي بصفة خاصّة، وتقويةُ كونِه كذِبًا وافتراءً ومُخالِفًا لوحي الله تعالى وشرعِه.

كـلامُ الـلـه هو الـحـقّ، وليس كـلام الكافرين والمنافقين

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَقُولُ﴾:

عبَّر البيانُ الكريمُ في الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ بالفعل ﴿يَقُولُ﴾ - الدالِّ على التصريح والمجاهرة - مضارِعًا، لما يُفيده المُضارع من الدلالة على الاستمرار التّجدّدي؛ فالوحيُ النازل على رسول الله ﷺ يأتي في كلِّ حادثةٍ ومناسبةٍ بالحقِّ الذي يُناسبها، مصرِّحًا به، معلنا له، سواءً كان ذلك بالإبطال أو الإقرار، وهو يتنزّل بما فيه المصلحةُ للبشريّة كلِّها على مدار الزمان، وليس بما يتناسب مع طبائعِ الناس وعاداتهم في زمانٍ دون زمان، أو مكانٍ دون مكانٍ.

الـوحـيُ الـنـازلُ إلى الرسول يأتي في كلّ حادثة بما يناسبها

موقع ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الإعرابيّ ومعنى (أل) فيه:

﴿ٱلۡحَقَّ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ مفعولٌ به للفعل ﴿يَقُولُ﴾، و(أل) فيه لتعريف العهد؛ والمعنى أنّ ما ينزلُ به الوحيُ من كلام الله تعالى لا يخرج عن الحقِّ المعروف المعهود للنّاس، الذي يتوافق مع الفطرة، ولا يلقى شيئًا من الإنكار أو الرفض، وقد تكون اللام للجنس، والمعنى أنَّ كلَّ كلام الله تعالى لا يخرج عن الحقّ ولا يحيدُ عنه، سواء أكان ذلك في موضوعَي الظهار والتّبنّي، أم في غيرهما.

كـلامُ الـلـه لا يحيدُ عن الحقِّ، سواء في الظهار والتّبنّي أوْ في غيرهما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 260.

دلالة التعبير عن مفعول القول بالحَقّ:

الـحـقُّ يَستمد قـوَّتَـه مـن قـوّة قائله، والباطلُ يعتمد في بقائه على قوّة الإنسان

عبَّر النظمُ الكريمُ في الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾ عن معمول الفعل ﴿يَقُولُ﴾ بقوله ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الذي هو نقيض الباطل، ليحصُلَ بهذا التعبير نوعٌ من التقابل المعنويّ بين قول الحقّ - الذي هو كلام الله - وقولِ الباطل - الذي هو كلامُ الكفّار والمنافقين - فيظهرَ بذلك الصوابُ من الخطأ، والحقُّ من الباطل، وفي التعبير عن المعمول بالحقِّ دلالة على أنّ الحقّ أغلبُ، لأنَّ قوّتَه تُستمدّ من قوّة قائله، وهو الله ﷻ، بخلاف الباطل، الذي يعتمد في بقائه على قوّة الإنسان[1].

معنى واوِ ﴿وَهُوَ﴾:

الواو في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ لعطف ما بعدها على جملة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾، لاتِّحادهما في المسنَد إليه، وللتَّناسب بين قولِ الحقّ وهدايةِ السبيل.

نكتة إضمار اسم الجلالة:

كلامُ الله يتَّسِمُ بالهداية، وكلامُ الكفار والمنافقين ضلالٌ وغوايةٌ

عُبِّر في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ يَهۡدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ عن المسند إليه بالضمير (هوَ) العائدِ إلى اسم الجلالة في الجملة السّابقة: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾، جريًا على ما يقتضيه الظاهرُ من إسناد الفعل إلى ضمير المسند إليه الذي سبق ذكرُه في الكلام، ولأنّ الضمير يقوم مقام اسم الجلالة الذي يعود إليه، وفيه ما يدعو إلى التفكّر والتدبّر في سُبُل الهداية التي يتّسم بها كلامُ الله تعالى بصفة عامة، وكلامُه عن التّبنّي والظّهار بصفةٍ خاصّة، ومقارنةِ ذلك بالضلالات التي يُروِّجُها الكافرون والمنافقون.

نكتة تقديم المسند إليه ﴿وَهُوَ﴾:

في تقديم الضمير العائد إلى اسم الجلالة: ﴿وَهُوَ﴾ على الخبر

(1) أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 65.

الفعليّ ﴿يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ قصرُ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا إضافيًّا، يؤكِّدُ حصر هداية السبيل في كلام الله دون كلام الكفّار والمنافقين، كما هو الشأن في جملة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾؛ والمعنى: "وَهوَ يَهْدي السَّبيلَ الحَقَّ، لا الَّذينَ أضَلّوا النّاسَ بِالأوْهامِ"[1] والأباطيل.

كـلامُ الـلـه هو الـهـادي إلى سواء السبيل، ولـيـس كـلامَ الكفّار والمنافقين

دلالة التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَهۡدِي﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الكريمُ التعبيرَ بالفعل ﴿يَهۡدِي﴾ مضارعًا في قوله تعالى ﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾، لِما يُفيده المضارعُ من الدلالة على الاستمرار التجدُّديّ؛ فاللّهُ يتولَّى هداية خلقه إلى الصواب، وإلى ما فيه صلاحُهم ومصلحتُهم، من خلال الوحي النازل إلى رسوله، الذي يتجدَّد نزولُه بما يحقِّق المصالحَ ويدرأُ المفاسد، وما عليهم إلّا أنْ يَقيسوا ما ليس موجودًا فيه على ما هو موجودٌ فيه، لِتَتَجدَّدَ الهدايةُ كلّما تجدّدتِ الحاجةُ إليها.

كلامُ الله يتجدّد نـزولُـه بـما يَـهـدي الـنـاسَ ويرشدُهم

معنى (أل) في ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾:

(أل) الداخلة على ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ لتعريف العهد، تدلّ على أنّ وحيَ الله تعالى يهدي خلقه إلى الطريق السهل الميسور، الذي تَجِدُ فيه النفوس راحتَها وقرارها، لأنّه يتوافق مع طبيعتها وفطرتها التي فُطرت عليها، فلن يتعارض معها، ولن تَنْفِر من السير فيه؛ "والسَّبيلَ: الطَّريقُ السّابِلَةُ الواضِحَةُ، أي: الواضِحُ أنَّها مَطْروقَةٌ، فَهيَ مَأْمونَةُ الإبْلاغِ إلَى غايَةِ السّائِرِ فيها"[2].

سبيلُ الـلـه هو الطريقُ الميَسورُ الـذي تَـجِـدُ فيه النفوسُ راحتَها وقرارَها

بلاغة الاستعارة في هداية السّبيل:

في قول الله تعالى ﴿يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ استعارةٌ تصريحيّة، شُبِّه فيها التوفيقُ إلى الخير والصواب بالهداية التي تعني الدلالةَ بلطف، بجامعِ الإيصال إلى الغاية والهدف؛ ثم استُعير لفظ الهداية للتوفيق،

تـوفـيـقُ الـلـه مـوصِـلٌ للغاية كـمـا الـسّـبـيـلُ مـوصِـلٌ سالكَه غايتَه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 260.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 260.

واشتُقَّ منه ﴿يَهۡدِي﴾ بمعنى: يوفِّق على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة، التي توضّح أثر كلام الله في هداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه الخير والصواب، سواءً في أمر الظّهار والتّبنّي أو في غيرهما.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخَلْق والجَعْل:

الخلقُ: إيجادٌ من عدم؛ والجعلُ: إحداثٌ وتعديلٌ يلحق الموجود

الخَلْق: التَّقْدير، والنّاس يَقولونَ: لا خالقَ إلّا الله، والمراد أنّ هَذا اللَّفْظ لا يُطلق إلّا على الله، إذْ لَيْسَ أحدٌ إلّا وفي فعله سَهْوٌ أو غلطٌ يجْري مِنْهُ على غير تَقْدير، غير الله تَعالَى، أمّا الجعل فيكون بِمَعْنى الإحداث، كقَوْله تعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1]، وقَوله ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ [الملك: 23]، ويجوز أن يُقال: إنّ ذَلِك يَقْتَضي أنّه جعلها على هَذِه الصّفة الَّتي هيَ عَلَيْها، كَما تَقول: جعلت الطينَ خزَفًا[1]، ويُفهم من ذلك أنَّ الخلقَ: إيجادٌ من عدم، أمّا الجعلُ فهو إحداثٌ وتعديلٌ يَلْحَقُ الموجودَ، وهو أنسب لسياق نفي إحداث قلبين في جوفٍ، أو الأزواج أمّهات، أو الأدعياء أبناءً، من حيثُ كونه تصييرًا لحالةٍ مخالِفَةٍ للفطرة ومجانِبَةٍ للواقع.

الأبناء والأولاد:

الابن يفيد الاختصاص ومداومة الصحبة، والولد يقتضي والدا

الأبناءُ ليسوا من صُلبِ الرجل، أما الأولادُ فهم من صُلبِه؛ والابْن يَقْتَضي أبًا، والولد يَقْتَضي والدًا؛ والولد يَقْتَضي الولادَة ولا يقتضيها الابْن، ولا يُمسى الإنْسان والدًا إلّا إذا صار لَهُ ولد؛ والابْن يُفيد الاخْتِصاص ومداومة الصُّحْبَة، ولِهَذا يُقال: ابْن الفلاة لمن يداوم سُلوكَها، وتقول تَبَنّيْتُ ابْنًا إذا جعلتَه خاصًّا بك، وقَوْلنا: هوَ ابْن فلان يَقْتَضي أنه مَنْسوب إلَيْه، ولِهَذا يُقال النّاس بَنو آدم لأنهم منسوبون إلَيْه، وكَذَلِكَ بَنو إسرائيل[2]، ولأنّ لفظ الابْن يُفيد النسبة

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 136 وما بعدها.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 281 وما بعدها.

والاِخْتِصاص ومداومة الصُّحْبَة، ولا يقتضي الولادة؛ فإنّه أنسب لنفي كون الأدعياء إيّاهم.

الأفواه والألسنة:

اللِّسانُ مَعْروفٌ، وهوَ مُذَكَّرٌ، والجَمْعُ ألْسُنٌ، فَإذا كَثُرَ فَهيَ الألْسِنَةُ، ويُقالُ لَسَنْتُهُ، إذا أخَذْتَهُ بِلِسانِكَ[1]، وهو: الجارحة وقوّتها؛ وقوله: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ [طه: 27] يعني به من قوّة لسانه، فإنّ العُقْدةَ لم تكنْ في الجارحة، وإنّما كانت في قوّته التي هي النّطق به[2].

اللسانُ العضوُ الذي يكون به الكلام، والفَمُ محلُّ اللسان، والفوهُ فتحةُ الفم

وأمّا الفَوهُ فسَعَةُ الفَم، ويَقولونَ: إنَّ أصْلَ الفَم فَوَهٌ، ولِذَلِكَ قالوا: رَجُلٌ أفْوَهُ؛ وجمعُ الفم: أفواه، وفاهَ الرَّجُلُ بالكَلامِ يَفوهُ بِهِ، إذا لَفَظَ بِهِ؛ والمُفَوَّهُ: القادِرُ عَلَى الكَلامِ، وزَعَمَ ناسٌ أنَّ الفَوَهَ أيْضًا: خُروجُ الثَّنايا العُلْيا وطولُها[3].

وكلّ موضع علّق الله فيه حكم القول بالفَم فإشارة إلى الكذب، وتنبيه إلى أنّ الاعتقاد لا يطابقه، نحو: ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾، وقوله: ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: 8][4]، ومن هنا اختيرَ لفظُ (الأفواه) في الآية ﴿ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ﴾، لما تقدّم من إثبات أن قولهم لم يكن راسخًا عن يقين واعتقاد، وإنّما هو لفظ ينطق به اللسان ولا يصدِّقه القلب، وإن كانوا أظهروا الاقتناع به بترجمته الى فعل.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لسن).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (لسن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوه).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (فوه).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»